14 أكتوبر
www.14october.com
تحقيق الوحدة هدف من أهداف ثورتي 26 سبتمبر و14 أكتوبر المجيدتين
عبدربه منصور هادي - رئيس الجمهورية
حوار 9
الجمعة والسبت 13-14 سبتمبر 2013م - العدد 15866

المفكر العربي الكبير محمـــــد حسنين هيكل في أحدث حوار صحفي أمس الخميس :

الدول العربية تتساقط ولكن من مزايـــا سوريا أنها مثلت يقظة قوية وكبيرة وتساؤلات حول ما يحدث على أرضها

«السيسي» شعر باليأس من «مرســـي» فاجتمع مع مكتب الإرشاد.. و«الشاطر» هدده بعمليات إرهابية

من جديد، أطل الكاتب الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل، على جمهوره، عبر برنامج «مصر أين.. مصر إلى أين؟» مساء أمس الخميس مع الإعلامية لميس الحديدي على قناة «سي بي سي» ليستكمل تحليل الموقف السياسي المصري والعربي والدولي ويقدم رؤيته، قارئاً ما بين السطور، لكن هذه المرة يتحدث تحت عنوان «أزمات معقدة تبحث عن حلول ممكنة».

يحمل صوت «الأستاذ» في هذه الطلّة، نبرة شجن واضحة، بعد تعرُض مزرعته التي تضم مكتبة ضخمة ومنزلاً لحريق مروع، في أعقاب فض اعتصام «رابعة العدوية»، وهو الحادث الذي سيتجاوزه «هيكل» حتماً، مستعيناً في ذلك بخبرة السنين والتجارب وروح الصبر والصمود التي يتحلى بها.

ووسط أوضاع محلية ودولية، يقدم هيكل قراءة جديدة لما تعيشه مصر، واستشرافه لمستقبلها القريب بعد ثورة 30 يونيو الشعبية، ورؤيته للمعادلة السياسية الدولية مع تشابك خيوطها وغياب حدودها..

ونظرا لأهمية ما جاء في هذا الحوار تعيد (14 اكتوبر) نشره تعميما للفائدة :

> اجرت الحوار : لميس الحديدي

■ أعرف أن برقاش عزيزة عليك جداً.

■■ هذا حقيقي جدا.

■ أعرف أيضاً أن الحديث في هذا الأمر مؤلم للغاية.

■■ لأول مرة أعرف معنى كلمة «شجن»، أشعر أن لديّ ما يضايق أكثر مما يمكن أن يعبر عنه بكلمات، خصوصاً وأنا لم أتحدث عن هذا الموضوع، واعتذرت عدة مرات أن يجري تصوير المشهد في برقاش، هذا المكان حافظت على خصوصيته في ازدهاره وأنا أستطيع أن أكشف عن هذا في حنقته، فله حرمة الإنسان وحرمة الكلمة، ولا أستطيع أن أجعله بهذه الصورة، ومن الغريب أن هذا المكان دائما كنت متأكدا وأنا أقول لزوجتي باستمرار ،إذا لم نترك نحن هذا المكان، هو سوف يتركنا لأن الزمن لا أعتبار والسن أيضا له اعتبار، وكانت هناك أطروحة من أبنائي، فهم يرون أن ما رأته برقاش وشهدته أعظم من أن تكون إرثا تركه أب لأبنائه، وكانت الأطروحة تقول أن يتم تحويل هذا المكان إلى مؤسسة فكرية تنفيذاً لمبادرتي الخاصة بشباب الصحافة العربية واقترحوا أن تكون مقراً على غرار مؤسسات إنجلترا الخاصة مثل «ديكسلي» وهي مكان ريفي له طابع تاريخي يمكن من خلاله أن يقدم رسالته حتى بعد رحيل أصحابه، وهذا كان تصورهم في الحقيقة، وأعلم أن ثمة من سيسألني لماذا لم أبادر بحفظ هذه المستندات في مؤسسات مثل الأهرام أو دار الوثائق ؟ لقد فكرت في هذا ملياً، لكني في وهلة شعرت أنه يجب أن تكون الأهرام مؤسسة لأوراقي، ثم حدثت أزماتها الأخيرة وعندما فكرت بدار الوثائق أو أي مؤسسة في الدولة عرفت أن ثمة مصاعب تواجه هذه المؤسسات تقودها في النهاية إلى الإهمال، ما قد يؤدي إلى اختفاء بعض من هذه الوثائق، وأنا شخصياً كما تعلمين انتهيت من الكتابة ووثقت كل شيء لكني وجدت أن الهيكل الأساسي للمؤسسة موجود كورق ووثائق في مكتبة ومكان معد ومجهز للضيوف وموقع ريفي به بعض التاريخ يصلح لأن يكون لهذه المؤسسة ومعقول جداً.

■ كيف علمت بهذا الاعتداء؟

■■ كنت مسافراً كما تعلمين، بعد الانتهاء من تسجيل الحلقات الأولى، سافرت في بداية يوليو في رحلة بدأت بميلانو، ثم سردينيا، قبل أن أعود إلى الساحل الشمالي، قبل الحادث بيومين وأنا في ميلانو كنت أتابع أخبار مصر بشدة، وعلى تواصل مع أناس كثر وعرفت بجو الاحتقان في الشارع المصري في ذلك الوقت، وما يثار حول لغط فض الاعتصام من عدمه، وأنا حتى في سردينيا رأيت الشيخ حمد أمير دولة قطر السابق، ودار بيننا نقاش حول فض الاعتصام من عدمه، وهو توقع أن يستمر لفترة أطول بينما أنا قلت لن يستمر، وقابلت شخصيات كثيرة ولكني قررت أن أبقى بعيداً فهذا مستقبل يصنعه جيل آخر بفكره وهذا طبيعي، لكن من حقي أن أكون موجوداً بالاهتمام الفكري، وأن تكون شواغلي بما يمكن أن يحدث لهذا البلد، وفي يوم فض الاعتصام وفي تمام الـ 12 ظهراً أخطرت عبر اتصال هاتفي بأن كل شيء حدث، وأن النيران التهمت كل شيء.

■ ماذا قالوا لك؟

■■ قالوا لي إن هناك حريقاً كبيراً وتكسيراً وهجوماً وانابيب بوتاجاز تنتفجر في كل الأرجاء، وانا اتذكر وقتها أن زوجتي «هداية» تكلمت مع مسئول في برقاش، وقالت: نعلم أنكم ستقومون بدوركم لكن لا نريد أن تحدث اشتباكات ولا إراقة دماء ولا أريد أن يصاب أحد منكم ونعلم حرصكم على الدفاع.

■ مَن الذي صنع هذا؟

■■ الأوامر صدرت في «رابعة» وكانوا مجهزين لهذه الخطط، وكان السؤال الشاغل ما الظهير؟ ويخشون من أن تكون خطة الاقتراب من «رابعة» يكون فيها عناصر أخرى بخلاف تلك الموجودة في الميدان وتشكل كماشة في النهاية، لكن ثبت لاحقاً أن الظهير غير مباشر، وهو موجود بإثارة الفوضى في شتى الأنحاء، وفي أماكن كثيرة جداً. لم أحزن على «برقاش» بمقدار حزني على وضعها مع متاحف وكنائس وجوامع أصبحت مخازن للسلاح، حدث شيء في هذا البلد، فكانت لحظة من لحظات شبه الجنون، والغريب أنهم اختاروا «رابعة» وأنا عرفت بعد ذلك لماذا، فهم أناس لم يتوقعوا أن يحدث ما حدث وقد اطمأنوا لضمانات إقليمية ودولية وتطمينات داخلية بأنهم باقون فكانت الصدمة قد قادتهم للتجمع حيث استطاعوا في أي مكان، لكن مع فقدان السيطرة على الأعصاب.

■ هل استهداف برقاش استهداف للأستاذ هيكل لإرادته وموقفه في الأونة الأخيرة.. أم ماذا؟

■■ الأمر صدر من «رابعة»، وكان إشعال الحريق جاهزاً في التو واللحظة.

■ كانت جاهزة؟ هل لديك معلومات حول ذلك؟

■■ فور الانتهاء من فض اعتصام «رابعة العدوية» في تمام العاشرة، منذ أن بدأت عمليات الفض على مدار 3 ساعات بدأ في تمام السابعة تنفيذ الأمر، ولا أريد أن أسبق تحقيقات النيابة، لكن واضح أن هناك أوامر صدرت إلى وحدة إمبابة وتفرعت منها أوامر مختلفة وفوجئت بإعلان لجنة الشورى لقائمة سوداء للإعلاميين ووجدت اسمي بينهم وأنا بعيد، وحتى عندما أدليت برأيي لم يكن هذا طواعية مني، بل سألني أحدهم عن ذلك فقلت.

■ هل البرنامج والحلقات السبب؟

■■ نعم، أنا أنظر إلى طريقة الهجوم مثل ما هو موجود في كل مكان.. هجمة شرسة بلا عقل ولا إرادة من هول الصدمة، وأنا مستعد أن أفهم ذلك، لأنهم كانوا في حالة اطمئنان ولم يستطيعوا البقاء فجأة في مصادفة تاريخية وجدوا أنفسهم في القلب منها.

■ ماذا حُرق في برقاش؟

■■ أولاً برقاش عبارة عن 25 فدانا، تتوسطها سبعة أفدنة تضم المكتبة ومنزلا ريفيا للأحفاد وبيت معيشة للناس، لكن ما ذهب أبعد من ذلك فهو أدبي وفني وإنساني، مثلاً كان هناك جدار كبير علقت عليه 55 لوحة لكثير من الفنانين من راغب عياد، مروراً بالجزار والرزاز وصلاح الطاهر ونحية وكنعان، وأعمال غيرهم معلقة بارتفاع دورين. الجدار كاملاً احترق.

■ ماذا عن المكتبة؟

■■ هناك مكتبتان إحداهما تحمل في طياتها أموراً مهمة، منها كتاب وصف مصر في عام 1807 - 1808 وقد طبع منه فقط 800 نسخة وكنت حريصاً جداً عليه.

■ كم مجلداً؟

■■ 24 مجلداً، واحد يتم رقم 25 يحمل خرائط وجميعها يحمل صوراً، ولحسن الحظ يبدو أن من سرق هذه الكتب عندما سار بها شعر بثقل حجمها فالقاها في مصرف، لكنه لحسن الحظ كان جاهلاً فحفر عليها الفخير، أمين وهبي، واتصل بي وجاء إلي بالجزائين وفرحت جدا..أما عن الأوراق فحدثي ولا حرج، وعلى سبيل المثال في ذات مرة اتصل بي الكاتب والمفكر عبدالهادي المبسري وهو من أنقى المفكرين، وقال لي إنه قابل محاميا يهوديا ووجد عنده كل خطابات الخديو لإسطنبول وأوراق لمصطفى كامل فقلت له ارجوك ابدل ما تستطيع لتحصل عليها وأخذها بالفعل، وعاد بها،وفي المكتبة أيضاً كان هناك خطابات للورد كرومر كتبها بنفسه وهي مجموعة من 42 خطاباً كتبها بنفسه لأهله عن مصر، وعندما مات آلت إلى ذويه فاعتبروها مالاً خاصاً، وعرضوها في مزاد، واتصل بي صديق وقتها وقال لي عنها وأنا لا أذهب للمزادات فطلبت منه أن يذهب نيابة عني ووضعت سقفاً سعرياً لا يتجاوزه، وبالفعل نجح وقتها وحصلت عليها، حيث كتب كثيراً عن مصر ليصف لأهله ما يحدث والكتابة ظلت لفترة طويلة في أوروبا كرسائل غرام، وليس ذلك فقط بل وتجربتي الشخصية الطويلة في وثائق في عهد عبدالناصر والسادات وكل ما دار في الحروب وأنا أعلم أني أخذت جزءاً كبيراً منها إلى الخارج بعد وفاة «ناصر» وثبوت ما يسمى مراكز القوى وثورة التصحيح في عهد السادات حيث خشيت على هذه الأوراق جدا، وقلت أستطيع أن أحافظ على هذا التاريخ لأقصه يوماً وأحكيه وكان لديّ، وأنا عشت حرب فلسطين يوميات، وليس ذلك فقط، بل كل ما كتب من الكلاسيكيات المصرية وغيرها وتاريخ مصر في العصور المملوكية وما مهدت إليه من وصول محمد علي، وكل ما يؤرخ ويحقق في تاريخ مصر الحديث الفكري والسياسي.

■ ولكن غير ذلك تحمل برقاش ذكرى في كل ركن فيها؟

■■ فيها ظل التاريخ، ففي كل مكان أستطيع أن أتذكر من جلس، أستطيع أن أتذكر مكاناً ناصر جلس فيه، والسادات وميتران وكل من جاء في مصر في هذا الوقت وكنت أعرفه.

■ وأيضاً جاء فيه الدكتور مرسي؟

■■ والدكتور مرسي والكتاتني جاء معه، وكنت أول مرة أراه، وعرفات وجيفارا، وكل ما له علاقة بالتاريخ المعاصر أيضا قابلت فيه أم كلثوم وعبدالوهاب وعبدالحليم حافظ وعبدالمنعم رياض، هذا هو ظل التاريخ، الناس تحاول طمأنتي وتقول سيحدث وسنكتشف من فعل وغير ذلك، لكن رغم حزني أنا وزوجتي تحملنا وبإدراك لم أكن يوماً أريد أن أدخل برقاش في صراعات سياسية، ولا الحملات المتبادلة أردت أن أصون المكان وهناك شعر للمتنبي عندما رثا أمه وقتها، وقال، وكانت هناك حملة ضده:

(هيبني أخذت الثأر فيك من العدا
فكيف أأخذ الثأر فيك من الحمى)

نحن نعلم جداً ونقدر أن البلد محموم ودائماً أقول للناس هل تريدونني أن أحزن على برقاش؟ نعم أنا حزين جدا ولا أستطيع أن أتصور في تاريخ العصر الحديث أن تحدث غارة على منزل أو منظمة أو على مكتبة.

■ هل هذا هجوم على هيكل أم على العلم والتاريخ والفن؟

■■ بالدرجة الأولى أنا، ولا أعلم لماذا؟ لقد كنت معك في هذه الحلقات أؤدي وأنادي بإعطاء الإخوان الفرصة وكنت من أنصار عدم التدخل وتركهم للتجربة وكنت أقول لنفسي ماذا أفعل؟ هناك بلد يحترق والناس معرضون للخطر وأوطان عربية ضاعت بالكامل ماذا سأفعل؟ وأسبب الصداع للناس وأعمل ما يسمى بالرشية، هذا جزء ذهب وراح، لكن في مرحلة عمرية متأخرة جدا، ومن ناحية أخرى من وقت زواجنا وعمرنا الذي عشناه هناك.

■ ما موا صفات اللحظة الراهنة.. في الحلقات السابقة تحدثنا عن تحرير الإرادة وخرجت الجموع لتحريرها، فهل تحررت هذه الإرادة.. هل نجح تحرير الإرادة في 30 يونيو، أم أنه ما زال يتعثر أمام المواجهة القوية من العالم الخارجي لهذه الإرادة والتي لا تزال ترفض إرادة الشعب المصري.. كيف تصف اللحظة الراهنة؟

■■ كما أقول إن 30 يونيو وسع من مساحة الممكن ومد النظر بأكثر مما هو منطقي ومحتمل وهذا جزء من الصدمة، وهناك فارق كبير بين تحرير الإرادة وبين توسيع نطاقها في لحظة معينة كانت القيود على حرية الحركة كبيرة وطويلة جداً، وهذا بدا في حقيقة الأمر منذ عام 74 من أول ظهور الولايات المتحدة في المنطقة، وبدون الولوج في تفاصيل هذا، لكني أعرف أن الاختراقات أكثر مما هو صحي لأي بلد وأدت بعد ذلك الممارسات إلى ترسيخ ذلك وأصبح هناك حالة من عدم التعجب، في ظل هذا أن ينصح رئيس وأن يعطي كبري آوامر، وأوروبا تتدخل والعالم كله وكأنه اعتبر المنطقة ساحة كبيرة للمضاربة ويلعب فيها كما يشاء. الآن هناك قيود، وعندما تتذكرين أوضاع ما قبل يناير وهي لها قيمة كبيرة جداً لا يعرفها الكثيرون هذا من التاريخ، 25 يناير فما قبل يناير لا يبعث على الأمل والتفاؤل ويوحي بأن الحال لن يتغير، ولا سبيل لإزاحة الأنظمة، فوضع الأنظمة كان غريباً، حافظ الأسد مكث 40 عاما في سدة الحكم والقذافي 40 عاماً ومبارك 30 عاماً، في ظل هذا الشكل الثابت لم يكن ممكناً أن يأمل أحد في التغيير، وتعود الشعب على هذا كأسلوب حياة. ما حدث في يناير لم يكن مفاجأة، فالأوضاع الداخلية والخارجية كانت تنذر بقرب الانفجار ولم يعد بالإمكان استمرارها لأن ما حدث كان عبارة عن تناقضات اجتماعية وسياسية وفكرية ونحن لا نتغير إلا في الجانب التكنولوجي، وأود أن أذكرك أن آخر إحصائية قرأتها أن 70 % من مستخدمي الإنترنت هم من أعمار تتراوح ما بين 15 و21 عاماً، ولا أحد يعلم ماذا يخطط ويكتب وماذا يحرك؟

وأنا خرجت مبكراً في 2009 وطرحت فكرة الانتقال إلى مستقبل مختلف، قلت هذا في حديث مع مجدي الجلاد في «المصري اليوم»، وطالبت بإنشاء مجلس أمناء الدولة والدستور، وله رئاسة تمهد لهذا الانتقال الطبيعي، والمشكلة أن مراحل الانتقال لا تحدث بشكل أوتوماتيكي. هناك أشياء أخرى ومناخ معقول تجرى فيه هذه التغيرات، قدر الإمكان. الأمور تركت كما هي والأحزاب القديمة غير قادرة على التغيير والأوضاع مستمرة ثم حدثت ثورة يناير، وهناك خطأ كبير والجميع وقع في تقدير معناه وقد اشترك في هذا الخطأ كل الأطراف. هذا الانفجار الذي حدث حالة ثورية فريدة تبحث عن منفذ، فهناك أسباب عملية لقيام ثورة، لكن ليس هناك قيادة لهذه الثورة وعدم وجود فكر والثورة انفجرت من حيث لم يتوقع أحد ولم نقدر ما هذا وماذا يحدث؟ وحارت كل القوى في عملية التوصيف. أي ثورة في التاريخ -فرنسا وروسيا والصين وغيرها- كان فيها الفكر والقيادة.

■ لكن كيف نقارن ما حدث في 25 يناير بما حدث في 30 يونيو؟

■■ لا أريد أن أقول هكذا، لكن 25 يناير ولأنها كانت جديدة ومفاجئة وكل الأطراف احتاروا في توصيفها، واتخاذ موقف منها، دخلت متاهات خاصة، متاهة الشك. والشك أكبر لأن الحقائق غائبة، مثلاً أنا أول مرة قابلت فيها «مبارك»، قلت له إنه «رئيس انتقالي» ومن الجيد أنك قلت في خطابك أنك لست ناصر ولا السادات، وهذا شيء عظيم»، لكنه أبلغني بعد ذلك عن طريق أسامة الباز أن الرئيس مبارك تضايق لأني قلت «رئاسة انتقالية»، واقترحت على الرئيس مبارك وقتها أني أصارح الشعب ورغم ترحيبي أنه قال إنه ليس ناصر ولا السادات، إلا أن ثمة أشياء لا تتغير ويبقى الرئيس فيها يقوم بدور العازف يغير من الإيقاع لكن لا يغير النص وهذا حقيقي وهنا كانت أتحدث عما يسمى منظومة الأمن القومي المصري بالمعنى الشامل سواء في الداخل أو الخارج، فمن الممكن أن يتغير الرئيس لكن يغير معه طريقة العزف لكن يبقى النص قائماً وثابتاً وهذا قلته.

■ كيف تتفادى مساوئ الفترة الانتقالية التي تلت 25 يناير؟

■■ الخطأ الأول وأذكر أنني أول مرة قابلت فيها المشير طنطاوي، سألني: «هل هذه ثورة أم بماذا تصفها؟» قلت له ما حدث «حالة ثورية»، وحيث كانت هناك تقارير مكتوبة حول الحركات الثورية وحركات الشباب، وهناك تقارير سواء أكانت حقيقية أم مشوهة أو مصدرها «مباحثي»، لكن لم ينظر إلى الصورة العامة، لكن بشكل ما كانت هناك شكوك، وعندما جاء المجلس العسكري بشكل ما سألني وقتها: هل هذه ثورة والسؤال طرحه أناس كثيرون، لكن لا يوجد برنامج ولا قيادة.

■ لكن ما تفسير ظهور الإخوان في الفترة الانتقالية الأولى؟

■■ دعيني أعد بالتاريخ قليلاً إلى الوراء، عندما عقد التلمساني اتفاقاً مع السادات عام 71 بمكافحة الشيوعية والناصرية، ثم جاء عهد مبارك وعرف أنهم قوة منظمة وأيقن ضعف الأحزاب، وهم في ذلك الوقت طلبوا أن يعملوا في أمان ولم يتوان مبارك في منحهم هذا الأمان، مقابل أن يكونوا هادئين، وبالفعل كانوا في حالة تفاهم مع النظام، وفي مجمل ما حدث، مروا بسياسات كثيرة والأمريكان عرفوهم مبكرا.

■ هم يدعمونهم منذ عام 2005؟

■■ قبل هذا، علاقة الإخوان بدأت بالإنجليز ولا أريد أن أتهم أحداً بالخيانة، فلتفاؤهم مع الإنجليز كان مثلهم مثل أي قوى أخرى فاعلة في المجتمع، وكان الإنجليز وقتها موجودين كقوة وفي معاهدات الجلاء، وكان الكل يلتقي ويتحدث، لكن ما يجعل للأمر حساسية، أن تتسم هذه اللقاءات بالسرية، لكن إنجلترا أخذتهم قبل الأمريكان، ثم تسلمتهم الولايات المتحدة مع إرث المنطقة وسوف نتحدث عن هذا لاحقاً، لكنهم استخدموا في محاربة الاتحاد السوفيتي من جهة، ومن جهة أخرى في حرب ما يسمى بالإلحاد في أفغانستان وغيرها، وبالتالي أو بشكل أو بآخر أن أشير إلى أنهم كانوا جزءاً من هذا النظام.

■ تقصد نظام مبارك؟

■■ من نظام مبارك ومن قبله نظام السادات، أحببنا هذا أم لم نحبه، طالما أصبحوا طرفا في معادلة الأوضاع أو الأمن أو الاستقرار، فهم طرف في هذا النظام، لذا لم يجدوا غضاضة في قبول مسألة التوريث التي أزعجت الناس، وهذا نُشر وليس سرا، وحتى ثورة يناير فاجأتهم، وهم ليسوا دعاة ثورة، بل دعاة محافظة وعودة للماضي وأن هذه الأمة في المستقبل لا يصلح لها إلا ما صلح في الماضي دون أن يكون تفهم لماهية هذا الماضي، الذي يحتاج إلى حديث كثير، خاصة في الفترة التي تلت الخلافات الراشدة، وعندما فاجأتهم الثورة تلكأوا في النزول لعدة أيام حتى الثامن والعشرين من يناير، عندها صدر بيان على استحياء، وبالتالي نستطيع القول إنهم آخر من دخلوا الميدان وآخر من خرجوا منه وأذكر أن اللواء سليمان اتصل بي، وقال ألن تحضر الحوار وأنا رفضت، وقلت أنا أرى أن هذا الحوار هو تمهيد للإخوان، فهم في الغرب والعالم الخارجي شأننا شأنهم أو أن الفريق الأكثر تنظيما في ظل حالة الثورة بلا قيادة ولا فكر هم الإخوان ويتسق هذا مع النظام الاجتماعي السائد قبل ثورة يناير، زارني «أرين» وكان بجواري مدرسة للبنات وفوجئ في فترة الانصراف بهذا الكم من الحجاب الأبيض والكتلة المتوقفة، وقال لي وقتها أنا زرت مصر كثيراً لكن لم أر هذا المنظر كثيراً وظهر الدعاة في هذه الفترة واختار الكثيرون الدين للاختباء وراءه، فالغني اختفى خلفه ليخبئ ثروته والفقير أيضاً خاف من الفقر واختفى وراء الحجاب وتحول الحج والعمرة إلى سياحة.

■ لكن في سنة واحدة من حكم الإخوان انقلب الناس على الدولة الثيوقراطية؟

■■ هذا صحيح، دعينا نقف عند مرحلة انزلاقهم إلى السلطة وهي من أكبر أخطاء الجيش العسكري على الإطلاق والأمريكان وضعوطهم، وعودة إلى حديثي فيما يخص توسعة قاعدة الإزادة، هناك حدود مفروضة على هذا البلد، والقوى الخارجية لها صوت مسموع في هذا البلد بأكثر مما ينبغي، وأكثر ما هو ضروري، ووجد الناس ثورة بلا قيادات ولا فكر وحالة ثورية لن تنتظر لا بد من تنظيمها وهنا وقع الاختيار على فكرة تعديل الدستور وإزالة مواد التوريث إن كانت هي التي تغضب الناس ثم أدخلوا إلى انتخابات برلمانية وهم يعلمون أن فصيل الإخوان كان ينتظر ويترقب، فضلاً عن فكرة تسويقهم كقوة داخل الإقليم. أما كمية التمويل في هذه الفترة كانت مهولة.

■ لكن المجلس العسكري كان يعرف ذلك ويدرك إلى أين يؤدي هذا الطريق؟

■■ المجلس العسكري عندما سأل هل هي ثورة أم لا، كان يشعر أيضا بالضغوط القوية وحجم التلويح بإلغاء المساعدات المدنية والعسكرية والعلاقات والمجلس العسكري لم يكن قادراً على الوصول إلى جوهر الحقيقة، فعلى الأقل كان في حالة ارتباك أمام الحقيقة بشكل مذهل.

■ هل انزلق الإخوان إلى السلطة بمحض المصادفة؟

■■ أريد أن أقول شيئاً، أكثر ما أخشى منه أنه في هذه اللحظة الآن الأمور تجري بالتدافع والتزاحم وتجري بالشكوك أكثر مما تجري بالمنطق، بمعنى أن المجلس العسكري لم يدرك ضرورات مرحلة الانتقال وأن الموضوع أكبر من قضية التوريث وأن ما يحدث في مصر نتيجة تناقضات اجتماعية وسياسية وفكرية أيضاً وأن هذه حالة ثورية والشيء الثاني أن السلطة انتقلت إليهم وهم لا يعرفون أين يذهبون وهم انتقلت إليهم الشرعية، وهذا قلته للمشير عندما سألني عن ماهية الثورة، قلت: حالة ثورية ولا بد من الانتقال إلى وضع مختلف، أنت لا تملك الشرعية، بل ضامن لها أو مؤتمن عليها في لحظة ما ستقوم بتسليمها.

■ لكن سنة واحدة من الحكم قلبت الموازين؟

■■ البلد كله في حالة شك كبيرة، من الأحزاب التي تشك في بعضها بعضاً والغريب أنه في حالة مصر الجميع يشك في الجميع، وفي حالة سوريا الكل يحارب في الكل وفي حالة العراق الجميع يكره الجميع، وهناك شيء ما سبّب تحلل الأوضاع التي استمرت منذ الثورة، فهي جاءت بلا قيادة أو فكر، وحالة انفجار ووسائل حديثة وكان هناك ارتباك للمجلس العسكري أدى إلى انزلاق الإخوان إلى السلطة، والمشكلة أنه رغم حالة الشك السائدة في المجتمع، فإن الأحزاب وهي تشك في بعضها، كانت تلجأ إلى المناورة، لكن الإخوان شعروا بالشك الرهيب فتحول إلى رغبة في السيطرة على مفاصل الدولة من أجل الإمساك بها، لأنهم يشكون في كل من حولهم وكان هذا هو السبيل للتمكين لسنوات طويلة، ومرسي قال هذا للسيسي عندما قال له سنحكم 500 سنة.

■ ثورتان إحداهما ضد الدولة البوليسية والقمعية والثانية ضد الدولة الثيوقراطية.

■■ لكن الغريب في الحالتين أن الحركات التي نشأت ترفض الواقع الموجود وتؤيد التغيير، لكنها لا ترى البديل، مثلاً في عهد مبارك كانت حركة كفاية ولها مدلول جيد، لكن لا شيء بعد ذلك، ثم جاءت بعد ذلك «تمرد» لتتمرد على الأوضاع القائمة، لكن ماذا بعد وإلى أين؟ وحتى هذه اللحظة لا أحد يستطيع الاقتراب من المشروع الوطني القومي، وفي ظل مناخ الشك العام، وحتى تطمئن من حولك، تقطع التعهدات على نفسك، وهذا حدث من قبل المجلس العسكري الذي أكثر في قطع التعهدات قبل أن يحدد ضرورات فترة الانتقال، ثم يطرحها ويحدد المدة المطلوبة.

■ هل خارطة الطريق الراهنة بها نفس الخطأ؟

■■ أعتقد أن خارطة الطريق الراهنة تكرر نوعاً من الأخطاء السائدة في الأولى، لكنها فقط تعمل في مناخ مختلف، أعرف أنه لم يعد هناك مجال للعدول عن خارطة الطريق، لكن كيف يمكن التوسيع من نطاق العمل، أنت ألزمت نفسك بالدخول في قفص من حديد وحددت الوقت قبل أن تحدد المهام.

■ ما الذي من المفترض أن يحدث؟

■■ أنا أعتقد أنه إذا جاء أحد وصارح الناس بالحقيقة، فسيشعر الناس بالاطمئنان ولا يحرر إرادتهم إلا بمقدار معرفتهم للحقيقة.

■ مَن يقوم بهذا الدور؟ الرئيس عدلي منصور أم الفريق السيسي أم رئيس الحكومة؟

■■ كل الناس لا بد أن تقوم بالمهمة وإن كنت أرى أن الأقدر على هذا هو الفريق السيسي، لكن وجوده في المؤسسة العسكرية يحول دون ذلك.

■ وأيضاً موقفه الدولي؟

■■ نعم هذا حقيقي أيضاً وينعكس على الموقف الدولي، وكما أكرر أن الإشكالية برمتها تكمن في أن هناك من يحدد التوقيت، دون دراسة المهام المطلوبة في هذه المراحل.

■ هل توقعت أو رأيت في هذا الشخص أنه يمكنه أن يأخذ من الخطوات ما قد يواجه به العالم؟

■■ في ذلك الوقت، كان وقت مواجهة كل ما يجرى من التقديرات الخروج في 30 يونيو؟

■■ في فترة التفويض كنت بالخارج، وشعرت بذهول، شعرت بأن الأمور تقترب من لحظات الحسم، دعيني أقص عليك ما حدث في خلال ملخص في 3 لقاءات أجريتها، الأولى مع السيسي، ثم الرئيس مرسي والدكتور البرادعي، عبر هذه اللقاءات استطيع تحديد ما جرى إلى حد كبير.

عندما حدثت ثورة 25 يناير، وتولى المجلس العسكري المسئولية، وقد أكن كما قلت ذهبت لحوار اللواء عمر سليمان، لم أتصل بأحد مطلقاً إلى أن فوجئت ذات يوم بمن يطلبني ويقول لي في أواخر مارس، وتحديداً في يوم 25 مارس، إن القيادة المشتركة وأحد قيادات المجلس العسكري يريدني، رأني تعجبت وأنا أعرف أن القيادة المشتركة في ذهني وتاريخي هي عبدالمنعم رياض، وعندما ذهبت دخلت ووجدت الفريق السيسي، وكان وقتها رئيساً للمخابرات العسكرية، وجدته أكثر شباباً وحيوية، رحبت به ورحب بي وفجأة وجدته يقرأ كل ما كتبت، وقلت له هذا جيد أن تقرأ لي، معناه إنك فهمت فكري وتعرف رأيي، فقال لي -وكان صادقاً وهو يحكي لي- كيف كان التحرك، وأنه صاحب خطة أن الجيش لا يمكن أن يضرب في الشعب مهما ساءت الأمور، وعرضها على المجلس، وتم الموافقة عليها، وأتذكر أنني عندما كنت أقابل المشير في عهد مبارك كان يحثني على الاستمرار في الكتابة، ولا أخاف، المهم وعودة لهذا، استمر اللواء السيسي، ولم يكن أصبح فريقاً بعد، في الحديث لي باستفاضة، لكن بدا لي أنني أمام شخص أكثر شباباً مما توقعت، وتعرض للعالم عندما درس في أوروبا، وهو ملم جداً بتاريخ مصر الحديث، وبدا لي صاحب معرفة، واستمر اللقاء ساعتين ونصف ساعة أو 3 ساعات إلا ربع، وكنت راغباً في الإنصات له أكثر من التحدث.

■ بعد 3 يوليو طلب الفريق السيسي تفويضاً من الشعب المصري لمحركة قادمة مع الإرهابيين ونزل المصريون في المحافظات بأرقام فاقت في بعض التقديرات الخروج في 30 يونيو؟

■■ في فترة التفويض كنت بالخارج، وشعرت بذهول، شعرت بأن الأمور تقترب من لحظات الحسم، دعيني أقص عليك ما حدث في خلال ملخص في 3 لقاءات أجريتها، الأولى مع السيسي، ثم الرئيس مرسي والدكتور البرادعي، عبر هذه اللقاءات استطيع تحديد ما جرى إلى حد كبير.

عندما حدثت ثورة 25 يناير، وتولى المجلس العسكري المسئولية، وقد أكن كما قلت ذهبت لحوار اللواء عمر سليمان، لم أتصل بأحد مطلقاً إلى أن فوجئت ذات يوم بمن يطلبني ويقول لي في أواخر مارس، وتحديداً في يوم 25 مارس، إن القيادة المشتركة وأحد قيادات المجلس العسكري يريدني، رأني تعجبت وأنا أعرف أن القيادة المشتركة في ذهني وتاريخي هي عبدالمنعم رياض، وعندما ذهبت دخلت ووجدت الفريق السيسي، وكان وقتها رئيساً للمخابرات العسكرية، وجدته أكثر شباباً وحيوية، رحبت به ورحب بي وفجأة وجدته يقرأ كل ما كتبت، وقلت له هذا جيد أن تقرأ لي، معناه إنك فهمت فكري وتعرف رأيي، فقال لي -وكان صادقاً وهو يحكي لي- كيف كان التحرك، وأنه صاحب خطة أن الجيش لا يمكن أن يضرب في الشعب مهما ساءت الأمور، وعرضها على المجلس، وتم الموافقة عليها، وأتذكر أنني عندما كنت أقابل المشير في عهد مبارك كان يحثني على الاستمرار في الكتابة، ولا أخاف، المهم وعودة لهذا، استمر اللواء السيسي، ولم يكن أصبح فريقاً بعد، في الحديث لي باستفاضة، لكن بدا لي أنني أمام شخص أكثر شباباً مما توقعت، وتعرض للعالم عندما درس في أوروبا، وهو ملم جداً بتاريخ مصر الحديث، وبدا لي صاحب معرفة، واستمر اللقاء ساعتين ونصف ساعة أو 3 ساعات إلا ربع، وكنت راغباً في الإنصات له أكثر من التحدث.

■ هل توقعت أو رأيت في هذا الشخص أنه يمكنه أن يأخذ من الخطوات ما قد يواجه به العالم؟

■■ في ذلك الوقت، كان وقت مواجهة كل ما يجرى من

عدلي منصور رجل وطني وفاضل وأسهم كثيراً في بث رسائل التطمين.. و«البلاوي» أذهلني بصموده رغم كل هذه المشكلات

التقيت أمير قطر في «سردينيا» وقال لي إنه يتوقع استمرار اعتصامي «رابعة» و«النهضة» عدة شهور

قابلت «السيسي» ف25 d مارس بعد ثورة يناير ووجدته أكثر شباباً مما توقعت وملماً جداً بالتاريخ الحديث.. وكنت أريد الإنصات له أكثر